فترة الأَغالِــبة

العاصمة: "طبْنــة"

من 184-296هـــ 800-909م

الحياة الثقافية:

تميزت الجزائر في فترة الأغالبة بسيْطرة علم الفقه و التّشريع، حيْث أرْسلَ إليْها الخليفة المنْصورُ بِعْثة منَ الفُقهاءِ استقرَّتْ بمنْطقة مرْسى الخرز – القالّة – و « لمْ ينْتصفْ القرنُ الثّالث حتّى تكوَّن شيوخٌ في مُخْتلفِ العُلوم، بلْ كانَ أكثر منْ هذا؛ أن هؤلاءِ الشيوخ شرَعوا في طريق التخصّص و أقْبلوا على التدْوين في الفِقهيات . و من بيْن الجزائريين الذين شارَكوا في الحرَكة الأولى "أبو القاسِم الزواوي" الذي روى عن "ملك بن أنس" و أخذ عنه "أبو العرب" صاحب طبقات عُلماء إفريقية (...) و يَجْدُرُ بالتّسْجيل أنّ الفِقهَ طغَى على الفُنونِ الأخْرى بحيْث نجدُ الفقهاءَ أكثر عددا منَ الأدباء (...) و أخذتْ إذْ ذاك مجالسُ المُناظرَة تُعْقدُ بيْن أنْصارِ المَذاهبِ المُخْتلفة »[34]

تضلّعَ مِن الفقه: « الفضل بن سلمة البجائي و أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي؛ دفينُ

1) عبِد الرّحمن بْن محمَّد الجيلالي، تاريخُ الجزائرِ العام، الجزء الأوَّل، ص 200.
2) يُنظر، عبْدالرّحمن بن ُمحمّد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزء الأوّل، ص 207.
3) عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزء الأول، ص 202.
4) محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، 87.

و قدْ ألّفَ شرْحاً لِصَحِيح البُخاري سمّاهُ: "النصيحة" و له تآليف أخرى في الحديث و الفقه منها كتاب "النّامي" شرَحَ بهِ "المُوَطأ"، و كتاب "الواعي في اللغة،" و "الإيضاح" في الرّدّ على القدرية. و توفي بتلمسان سنة 402هـ و ضريحُه مشهورٌ بباب القلعَة. »[35]

إلى جانب الفِقْهيات ظهرَ الاهتمام بالتاريخ؛ على يد "إسحاق الملشوني" في أواسط القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، و (ملشونة قرية من قرى بِسْكرة). كان الملشوني عالما

ثقة، له دراية واسعة بعلم التاريخ... و يُرْوَى أنّ « سحنون بن سعد، دخل على محمد بن الأغلب الأمير، أول يوم من شهر رمضان، فألفَى الأميرَ خالياً، فقال له: أرَاك أيّها الأميرُ خالياً... فقال: نعمْ... انْفرَدْنا في هذا الشهر المُعظمِ وَ خَلوْنَا فيه (...) فقال سحنون: فأيْن أنتَ أيّها الأميرُ مِنْ إسحاق الملشوني، يُحدِّثكَ بأخبار الأمَمِ السَّالفة و الأعْوام الماضية... فأمَر محمّد بن الأغلب بإحْضارِه، فكان يَحْضرُ في كلّ يوْم يُحدّثهُ بذلك حتّى انْقضى شهْرُ رمضان. »[36] وكم يتمنى الباحث معرفة، بماذا كان هذا المؤرخ يُحدّثُ الأميرَ محّمد بن الأغلب، أمْ أنّ الإخبارَ عنْ ذلكَ، ظلَّ شفوياً وَ لمْ يُدوَّنْ ..!؟

أما على مستوى الأدب، وَ نظراً لِشحّ المَصَادرِ و غيابِ النّصُوص الجَدِيرة بالإسْتِشهادات... فرُبّمَا يكونُ – مِنْ بابِ الاسْتحْسان – الإكتفاء بذِكْرِ نمُوذجٍ أدَبِيٍّ "لِلبرِيديّ"؛ خاصّة إذا توَقفْنا عنْدَ مَسْألة مُغادرَةِ بعْضِ الأسَرِ الجزَائرِية إلى المشرق و الأندلس، حيث تشتّتَ النّتاجُ في بُطونِ الكُتب... و تتعلّقُ المُغادرَة بالأسَرِ الطبْنية الآتية: أسرة الحسن بن محمد بن أسد التميمي، التي قصدت قرطبة و اشتهر منها ثلاث إخوة: محمّد وأحْمد وعليّ. و أسرة أبي محمد القاسم بن علي الطبني و التي توَجّهتْ إلى مصْر، ثمّ أسْرَةُ عليّ بن منْصور الطبْني وهذِهِ؛ إرتحلتْ إلى مصْر أيْضاً.[37]

5) يُنظر، محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص ص 88-89.
6) عبْد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزء الأول، ص211.
7) المقري، النفح، الجزء الثالث، ص 353 نقلا عن الذخيرة، القسم الأول، المجلد الثاني، ص52. هذا التوثيق لِمحمّد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص 91.

نموذج من كتابات "البريدي": رسالة إعتذارية إلى "إبْراهيم الثاني" و الرسالة مختومة بأبيات شعرية...

« مِنْ كرَم العفو وعُلوّ قدْره وجليلِ خطره، تَسمَّى اللهُ عزّ وجلّ به فسمَّى نفسه العفوَّ الغفور، والطبع البشري مركـّب على النقص، مقرون بالزلل، إلا ما خصَّ الله به الأنبيـاء وأودعه السادات الأمراء من طهارة الأخلاف، ونزاهة النفس، ولست، أيَّد الله الامير، ممن يدَّعي

العصمة والبراءة من الهفوة، ولست أمتُّ إليك إلا بفضلك عليّ، وإحسانك إليّ، ولا أعرفك بل أذكرك انّ من غرس غرساً فواجب ألا يجتثه وإن أبطأ بُسوقه، بل يمدُّه بمدّ موارده العذبة، حتى تمتد حيطانه، وتورق أغصانه. أعاذك الله بما أودعك من معالي الأخلاق، من ترك العفو عن مُقرّ معترف لا يعرف إلا فضلك و لا يرجو إلا عدلك، و لو كنت، أعزَّ الله الامير، عواناً في الخدمة، لكان عفوك أكبر من ذنبي، وفضلك في حلمك أعظم من جرمي، فكيف و أنا بكر في خدمتك لم أقف على حدودها و لا معرفة أقسام مراتبها ؟ فإن يكن ذنب فعلي غير قصد او زلة فليست عن عمد... فما سألتك سؤالاً دحضت حجته، و أحاطت به زلته، و أوبقه جرمه، فالحظني بعين عفوك، و أضْفِ عليَّ ستر نعمتك، و أقول أعزَّ الله الأمير:

هبْني أسأتُ؛ فأيْن العفْوُ والكرم * قد قادني نحْوَك الإذعانُ و النّدم

يا خيرَ مَنْ مُدّتِ الأيْدي إليْه؛ أمَا * ترْثي لمنْ بكّاهُ عنْدَك الإذْعانُ و النّدمُ

بالغْتَ في الصّفْح، فاصْفحْ صفْحَ مُقتدرٍ * إنّ الملوك إذا ما استُرْحموا رَحموا[38]

8) رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981، ص ص 104-105.